

ارتباك الهوية في رواية "خليل" لياسمينه خضرا

Identity confusion in the novel "Khalil" by yasmina khadara

خديجة جخار*

ليلي بن عائشة*

تاريخ النشر: 2024/12/20	تاريخ القبول: 2024/02/04	تاريخ الإرسال: 2023/06/26
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تواجه الذات المهاجرة متغيرات يفرضها الفضاء الاجنبي تتعارض وهويتها الاصلية ما يؤدي الى انكسار قيمتها الذاتية ويقف عائقا أمام تأسيس علاقتها بالآخر، فتضطر الى أن تعيش معه في قلق دائم. عاجزة في الوقت نفسه عن تفعيل دورها داخل المؤسسة الاجتماعية، فبدلا من أن تنصرف هذه الذات الى بناء هوية متكاملة نجدها دائمة التساؤل حول ذاتها. ومن ثمة فهي تحمل بذور تصدع كيانها النفسي والاجتماعي، وهذا ما يخلق لديها أزمة هوياتية، ولقد عكس السرد الروائي الجزائري المعاصر قضية الهوية وفق سياقات مختلفة، حيث شكل موضوع أساسي في كل الكتابات السردية على غرار ما تناوله ياسمينه خضرا في روايته "خليل" وتمثيله لهوية الارهابي المهاجر، التي سنتناولها بالدراسة عبر الاشكالية التالية: لماذا سعت الذات الى تبني هوية منغلقة؟ كيف تعاملت مع شتاتها الداخلي؟ فيما تجلى موقف الآخر منها؟

الكلمات المفتاحية: هوية، خليل، الآخر، ارتباك، ياسمينه خضرا.

* جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، مخبر السرديات والأنساق الثقافية

k.diekhar@univ-setif2.dz

* جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، Leilabenaicha282@gmail.com

Abstract:

The immigrant self faces change imposed by the foreign space that contradict its original identity .which leads to the breakdown of its self-worth that impedes the establishment of its relation ,ship with the other ,so it is forced to live with it in constant anxiety ,unable to activate its role within the social institution ,instead of this self-going to build an identity, integrated ,we find it constantly questioning itself it carries the seeds of a crack in its psychological and social entity which creates an identity crisis.This is what the contemporary Algerian novelist 's narrative carried about the issue of identity according to different contexts ,as it formed a basic theme in all narrative writings, similar to what yasmina khadra dealt with in his novel "khalil". And his representation of the identity of the immigrant terrorist, which we will study through a campaign of questions: why did the self-seek to adopt a closed identity? How did it deal with its internal diaspora? what is the other reflected it?

Key words: identity, Khalil, other. confusion, yasmina khadra.

المؤلف المرسل: خديجة جخار k.djekhar@univ-setif2.dz

*** **

1. مقدمة:

تبنّت الرواية منذ بداياتها مشاغل وهموم الفرد، لما لها القدرة على التعبير عن مكان الإنسان في جميع النواحي، ناهيك عن أنها نابعة من منطلقات تاريخية وثقافية ويتجسد ذلك من خلال مكوناتها، وعناصرها الملائمة التي ميزتها عن باقي الأجناس، إذ احتفت بكونها "مرآة للفكر الانساني المعاصر في قلقه وتمزقه و شكه وعبثه وشقاءه"¹ فهي لا تمثل الإنسان في حد ذاته بقدر ما أضحت تشكل ضرورة حتمية "... للتعبير عن العالم الحديث المجزأ، وعن الذات التي أصبحت فاقدة لعلاقتها العضوية بالحياة ولاندماجها في كلية متعالية تقدم معنى لوجودها"²، لاشك أن هذا الاندماج يشكل أقصى ملامح كينونتها، لتحمل الذات بذلك بين ثناياها تساؤلات عن هويتها الذاتية وخصوصيتها الدينية والثقافية، ذلك أن الهوية يصعب جعلها شيء ثابتا بل هي صيرورة متحركة، إذ أنها " ليست ما يملكه المرء أو يعطى له، كما أنها (...) ليست كيانا ما وراثيا، وانما هي ثمرة الجهد والمراس والاشتغال على المعطى الوجودي، بكل أبعاده من أجل

تحويله الى أعمال وانجازات، انها صناعة وتحويل، بقدر ماهي انبناء وتشكيل³ في الآن نفسه .

يؤدي مشروع الوجود _ في ظل التطور الحاصل بموجب ما يقتضيه العصر _ الى تغير المكون الداخلي للذات، حيث انصهرت الهويات في بوتقة واحدة ومحددة الى تشكيل هوية أكثر فاعلية يظفر من خلالها الفرد على اعتراف من قبل جماعته، ما يشعره بمركزيته، أما في حالة ما استنزفت هويته في فضاء لا يعترف بإمكانياته _ بمعنى الهدر الوجودي لهذه الذات _ نجدها عاجزة عن فهم الواقع الاجتماعي، لذا سرعان ما نلغى تفقد الرغبة في التماهي معه والذوبان وسطه، ما يخلق أزمة هوية تقذف بتلك الذات الى الضياع والارتباك، فهي في المنظور النفسي _ وحسب إريكسون _ تعيش ارتباكاً وضيقاً

"لا يطال محيط الأنا، فقط وانما أيضاً مركز الأنا يظهر تفتت لصورة الذات، فقدان للوسط، شعور بالتشتت وفي الحالات الشديدة الخوف من الانحلال الكامل"⁴.

تناول رواية " خليل " لياسمينه خضرا جانباً من هذا التيهان الهوياتي، طبعت به شخصية خليل المغترب الذي ولد في بلجيكا ومواطنته البلجيكية واحساسه أنه غريب وأجنبي لا ينتمي الا شكلاً الى وطن يدعى بلجيكا، وفي الوقت ذاته لا يشعر بوجود رابط قوي يربطه بالمغرب، وهو الأثر السلبي للمهاجر الذي فشل في تحقيق الاندماج لذلك تسعى هذه الذات الى اثبات انها في فضاء الآخر الذي مارس عليها الهيمنة والتميز، وفي غمرة بحثها عن معنى لحياتها وعن ملذات آمنة تستسقي منها قساوة التمزق والشعور بالدونية، وتحقيق التوازن لذاتها تلجأ الى التطرف الديني، ولعله هذا ما يدفعنا الى القول أن ياسمينه خضرا حاول أن يميّط اللثام عن الخلفيات التي ساهمت في تحويل الشخصية الانسانية الى شخصية ارهابية تقتل الأبرياء بدون رحمة، من خلال الحفر الداخلي لذاتية الانتحاري، والكشف عن مكبوتاتها المخفية خلف أشلاء واقعها الاجتماعي، وهذا ما يدعونا استجلائها عبر استنطاق نصه من خلال أسئلة مفادها: لماذا سعت الذات الى تبني هوية مغلقة؟ وكيف تعاملت مع شتاتها الداخلي؟ فيما تجلّى موقف الآخر منها؟

2. التنكر للذات ونفي الآخر:

تعيش الذات داخل عالم متحول يسوده الانفتاح هذا ما يخولها الى تبني عدة توجهات وقيم تكون معيارا لإنسانيتها. ففي حالة فشل الذات في الانفتاح تسقط في براثن الانطواء الهوياتي، هذا ما عبر عنه المفكر الإيراني داريوش شايغان بقوله: "لكي لا نتوزع أربعين قطعة فإننا نحتفي بانتماءات كامنة بداخلنا وننطوي عليها"⁵ هذا التوهم في التماهي كآلية دفاعية ينتج عنه شعور بالخواء والافتقار لهدف في الحياة، فلا معنى للحياة عنده، وهذا ما يعكسه الحوار الذي دار بين الصديقين خليل وادريس قبيل تفجير نفسيهما، قال ادريس:

" - انها المرة الاولى التي أشعر بأهمية نفسي

- ظهرت علامة توتر لا ارادي عند طرف فمه، وقال متنهدا:

- لا خير لنا على هذه الأرض

- صحيح

- تغيرت نبرته من دون سابق انذار وسألني:

- أتذكر شملة ؟...

- لا أتذكر شيئا أو أحدا، قاطعته لقد محوت كل ما يتعلق باللحظة الراهنة عن بكرة أبيه، وطمرته تحت الاسفلت، الليلة نحن المحبين الى الله، ولا كلمة تكفي للشعور بالإطراء"⁶يكشف الحوار عن ذات مأزومة داخليا، رافضة ذوبانها ضمن الجماعة ما جعلها مكبلية بفكرة الانتقام. فلم يجد الاثنان وسيلة لمقاومة عجزهما سوى تفجير نفسيهما في بلاد العدو، وهي في نظرهما فرصة لاسترداد ذاتها وتأكيد أنها، والدفاع عنها وتصحيح صورتها، جاء في خطاب الأمير الياس الموجه لخليل "لن تصبح أبدا مواطنا بلجيكيًا بكل معنى الكلمة " أكد لي الياس" لن تملك سيارة و سائقا خاصا، في حال أراد القدر أن ترتدي بدلة رسمية وربطة عنق، فنظرات الآخرين ستذكرك حتما بأصلك ومهما فعلت وأنجزت، أكان في مختبر أو على عشب أحد ملاعب الكرة، فيكفي أن تضرب جباننا بالرأس حتي تسقط من مرتبة التمثال الأعلى وتعود مجددا الى لقبك القديم

المعروف بالمستوطن الدنيء. لطالما كان الأمر كذلك، وسوف يظل على ما هو عليه" ⁷ فتواجد الذات ضمن مجتمع يدحض أنها وهمشها ويلغي أحقيتها يؤدي الى تشويه كينونتها الداخلية، وهو ما أشار اليه فرانز فانون حين قال: "الطرف العنصري يخلق الطرف الذي يعاني من الدونية" ⁸ وهذا ما خلق حالة التمزق الانتمائي لهذه الذوات بين الانصياع لمواطنتها المطبوعة بالإقصاء _ والتي يحياها في فضاء الآخر _ أو الامتثال لأصالتها المشوهة، ناهيك عن وصفهم بـ "الضائعين في الحي" وهو الوصف الذي أسند اليهم، والمؤدي في الوقت نفسه الى نتيجة حتمية و المتمثلة في صراع الفرد ضد مجتمعه الذي سلب منه انتماءه وجعله سجين هواجسه، فخليل مثلا لا يريد أن تكون نهايته مثل موكا القابع في ركن مهترئ يقص مغامراته الخيالية لفتيان حيه _ وهو ما يفسر بالتعايش داخل دائرة التصنيف الانتمائي _ لكنه يريد اثبات كينونته بقوة كما يعتقد ذلك أن الهوية في نهاية المطاف "... ذات معنى مزدوج داخلية infernal بمقدار ما نعتقد حول هويتنا، وخارجية external تتعلق بالطريقة التي يرانا فيها الآخرون والهويات تتكون وتستقر وفق علاقات دياكتيكية بين هذه العوامل الداخلية والخارجية" ⁹.

ان فقدان الغائر في وعي الذات الداخلي جعلها تنساق خلف الأوهام ليضيع منها وهم وجودها، وهو الصراع الهوياتي التي تتقاذفه أبنية الهوية، فكل محاولاته في الاندماج حققت فشلا ذريعا، ما جعله يعيش نفيا وجوديا للآخر، ويعمل على انكاره لنفسه في الآن ذاته، ليعاني بذلك تفككا هويا، ترجمته الحيرة البليغة وهو يخاطب صورة صديقه ريان قائلا: "هل سبق أن غمرك الغضب لدرجة أنك رأيت نفسك في مكان آخر بكل ما للكلمة من معنى؟ أن تطل من النافذة وتنظر الى الشارع لتجد أن لا أحد سواك يجلس على الرصيف المقابل سبق ان عشت أنا هذه التجربة في كل ليلى من ليالي عمري، حين كان أفراد عائلتي يغطون في النوم. كنت أقف كالفزاعة أمام الزجاج وأحدق في الشاب الجالس على الرصيف، بل كنت أحتقره" ¹⁰ فالملحوظ أن خليل يقع أسيرا لغضبه، يناشد ذاته التي باتت تعيش صراعا داخليا، فلا هو يستطيع التفاعل معها ولا الانغلاق. وهذا أدى الى خلق انزلاقات واهية، وأدت الى تشظي ذاته، وتفكك بينه وبين الفضاء الحاضن، فحالة اللاتوازن بين الأبنية الداخلية والخارجية جعلته يلجأ الى صياغة وعي افتراضي يخفي خلفه انتماءه بما يرسخ خصوصية واقع هويته، "والواقع

أننا جميعا نمارس اختيارات بصورة مستمرة وان كان ذلك ضمنيا حول الأولويات التي تتعلق بانتماءاتنا وصلاتنا المختلفة، وغالبا تكون مثل هذه الاختيارات صريحة تماما ومدروسة بعناية ¹¹ مثلما حاول خليل اقناع موكا بنظرته الى نفسه، وادراكه لذاتيته طمعا في التصالح مع ذاته، من خلال النقاش الذي دار بينهما حول موت أمادو في حادث سيارة مسروقة وموت ادريس الانتحاري: " _ مرافعتك ليست مقنعة تماما... فالموت في حادث سيرو الموت في هجوم انتحاري أمران مختلفان.

_ الموضوع ليس كيف تنتهي الأمور، بل كيف تبدأ لا يحتاج المرء الى كثير من السلبية ليفقد ثقته بنفسه واحترامه لها ...وهنا تبدأ المصائب، وتخرج جميع الأمور عن السيطرة، يبدو الأمر تافها لكنه يلقي بمصيرك في الهلاك. ليس هناك أضعف من شخص لا هوية وطنية له يا موكا ¹² فقد وجدت الذات نفسها هنا تتهاوى أمام نظرة الآخر "انه الآخر الذي تشعر أننا أنه يلغها وفي نفس الوقت لا تستطيع أننا أن تفكر في مستقبلها دون الارتباط به" ¹³ مما عرقل تأسيس هويتها الحقيقة وتصلحها مع ذاتها.

3. البحث عن الذات/ هوية مفقودة:

يحاول المهاجر أن يصون كيانه في ظل تواجده ضمن مجتمع أخضع للعيش فيه مما "يتعين عليه الحفاظ على مقومات ذاته، يضطر في الوقت نفسه الى التكيف والتغير غير أنه اذا تشبث بالمحافظة على ذاته كما هو، فانه يعرض نفسه الى فقدان واذا تغير فانه يخاطر أيضا بضياع تفاصيل مكوناته ¹⁴ ومنه فالذات التي لم تعرف ذاتها يجعلها هذا الموقف دائمة البحث عن ملاذ تكبح به جموح التيه والضياع "فتلوذ بهويات ضيقة متصلة اما بعقائدها أو بمذاهبها أو بأعراقها ولا يكاد ينجو أحد من تبني فكرة إعادة تعريف هويته على وفق الواقع الجديد" ¹⁵، فالتفاعل السلبي في بيئة مضطربة يؤدي الى تبني هوية مفقودة يتجاوز بها كافة الفروقات الوجودية التي تكبلتها الذات داخليا وخارجيا يقول خليل: "لقد حضني الجامع الذي بات أكثر من ملجأ، وعالجني وجعلني شخصا آخر، تماما كما تدور النفايات لقد منح المنبوذين أمثالي وادريس رؤية ورحابة واقتلعتنا من المزارب ليعرضنا كمنتجات فخمة في واجهة أكثر الأبنية جمالا... أعاد لنا الجامع الاحترام الذي يدين به العالم لنا" ¹⁶ لقد أضفى المسجد وخطب الأئمة،

ومواعظ الأمير مرتعا لتنفيس عن همومه، وملحا لممارسة ثقافته على اثر فقدانه للبيئة الثقافية التي استنبت بين أحضانها، وغرابته عن موطنه الأصلي ليحقق انتماء جديد. " فالتشبث بالهوية الثقافية باعتبارها صورة مثالية مريحة ومطمئنة عن الذات، بمنزلة الملاذ الآمن في فترة الظروف الصعبة التي تتخللها الأزمات الحادة والنكبات الكبرى، وأحيانا الهزائم والتصدعات الاجتماعية. ولكن هذا التشبث اذا بلغ حد المغالاة والترفع، فانه سرعان ما يتحول الى نزعة خصوصية ضيقة الأفق، تصبح في بعض الحالات القصوى أشبه ما تكون بنزعة عصبية عرقية، تنزع الى تضخيم القيم الخاصة بالمجتمع الذي تظهر فيه، وتحويلها الى قيم عالمية مختلفة¹⁷ فلهوية المنبعثة من شعب أو دين منغلق لا تتكسر بإرضاخ الآخر "استئناف العمل الجهادي هو تجسيد وعي ضدي بالأخر"¹⁸ الذي يقمع رغباتها بالرفض وعدم الاحتواء، فتتحصن بتبجيل الذات المتمسكة بهويتها الاسلامية والدفاع عن مركزتها، لتقوم بتكفير الآخر المختلف المتنكر اهذه الهوية، جاء في قول خليل لصديقه ريان الذي فرض وجوده بتحصيله العلمي، ووصوله الى درجة مرموقة: "أنت ترغب في رفع الأنخاب مع مديرك والتزوج بكافرة، والعيش من دون الله ولا حدود تردعك؟ أنت حر، لقد حددنا خياراتنا أنا وادريس أيضا ..لطالما دلتك أمك واعتنت بك ونظفتك، لم ينل ادريس شيئا من كل هذا ولا أنا أيضا ..."¹⁹ لقد صقلت هذه الذات الأصولية بفعل ترسبات اجتماعية وثقافية اذ وجدت أرضية خصبة تمارس فيها هويتها الافتراضية، وتراها شاملة ذلك أنها تتفاعل مع قضاياها ومآسها فتصوغ من خلالها عناصر هويتها ضد الآخر لتتخذ منها صور ومضامين مختلفة" وهو الوجه الآخر لاحتكار تمثيل الهوية والأمة من نخب وشرائح نصبت نفسها وصية على القيم العامة، قد أدى الى مزيد من الانقسام والشرذمة"²⁰ يقول خليل: "في راسي ضج صوت المفسر العاصف" ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل الذين كانوا يتيؤون لاكتساح مكة؟ أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فحملهم كحصف مأكول اليوم ان أصحاب الفيل هم تلك الدول التي نصبت نفسها قوى عظمى وتتجراً على التناول على الاسلام، تلك الدول التي سنقضي عليها بإذن الله، ذلك ان اليوم نحن الطير الأبابيل"²¹ يحيلنا هذا القول على تشبث الذات بخطابات واهية تستميلها تحت تبريرات وهمية، تدعم بها تعصبها الديني وتعزز بها

قناعتها، حيث تنتقي من النصوص ما يوافق هواها وموقفها الاجتماعي، فاستنادها على مثل هذه الاحالات الدينية يجعلها توظف أحقيتها ومشروعيتها في التمرکز وبالتالي التوهم أنها تحارب الفساد وتكتسي مكانة مقربة من الله، وهذا الاعتقاد يجعلها "تخرب ركائز المطابقة مع الذات كما هي فتتقنع الشخصية، بأقنعة تنكيرية في كل زمان ومكان تكون فيهما" ²² لتعيش اختلالا رهيبا في شخصتها، تنسج عبره اضطرابا وجوديا متوهما، في محاولة منها لاسترجاع هويتها المفقودة أو المسلوكة والاحساس بكيونتها التي عانت الانكار فهي "تتعامل مع الهوية بمنطق الحراسة والمدافعة فتزداد ضعفا وتخسر ما تريد المحافظة عليه بقدر ما تفقد حيويتها الفكرية" ²³ ونجد أن هذا الشعور المضمر يطفو الى سطح الواقع بالعنف والترويع حيث "يتمثل فقدان الهوية بالعنف، وغياب رابط للذات، تصبح عاصفة هوجاء، هويتها خارجها تبحث عنها، تمتد خارج حدودها، لا تعترف بهويات الآخرين" ²⁴ انها تفرض نفسها أو تزيج الهويات الأخرى.

4. تشرذم الذات:

نقلت لنا الرواية تفاصيل العلاقة بين الأنا والواقع الاجتماعي، بالوقوف على معالم جزئياتها، فشخصية البطل خليل تعيش انشطارا على مستوى وسطها الأسري ومحيطه الاجتماعي علي الرغم من تفردا فهو ابن وحيد وسط بنتين، لم يحظ بالاهتمام من قبل والده الذي طالما أنكره وأهانته، بالإضافة الى تهيمش المجتمع له ليحتفي تحت مظلة الجماعات المسلحة طمعا في خلق هوية جديدة مستقلة عن محيطه يتفاعل مع معطياتها. غير أن فشله في عملية الانتحار اثر حزام مزيف أدخله متاهة التساؤلات يقول خليل: "أتخبط في صراع مع شكوكي وظنونني التي كانت تبقيني متيقظا حتي ساعات الفجر الأولى، كنت أستذكر وأستذكر لقائي مع رمضان من زوايا مختلفة من دون أن أجد له ناحية ايجابية أخرى، كان غامضا في معظمه" ²⁵ لم يجد خليل المصادقية بين اخوانه الأصوليين اثر منحه حزام ناسف مزيف، وشعوره المقيت بتخليهم عنه واختفاؤهم، وبتلاعبهم المختلفة. خاصة عند قيامهم بتفجير انتحاري عن بعد، ناهيك عن محاولتهم تدنيس شرف الأرملة فطومة طاهية الجمعية، ان هذه التحولات التي اصطدم بها البطل جعلته ينتقل بين زوايا مختلفة تارة يشعر بالإحباط والخيبة وفقدان موقعه ضمن جماعته، وتارة يشعر بالفرح والسعادة لعدم التقاؤه بهم مجددا،

جاء في الرواية: "لم ألمح طيف أخ واحد، كانت طيور الأبايل قد تبخرت كأن الأرض قد ابتلعتهما...فليسامحني الله لكنني شعرت بنوع من الفرح لعدم التقائي بهم مرت مرتين أمام مطعم الجمعية من دون أن أشعر بأي شيء انه لشعور غريب. لم أكن أفقد اخواني فالإيمان"²⁶. ومن هنا فقد انقسمت الذات على ذاتها وتغربت بين عالم تصعب السيطرة عليه وعالم يكسرها، يصاحبها احتقار لنفسها نتيجة انعدام الانسجام بينه وبين دوره الاجتماعي. انها حالة الاغتراب وهو "انسلاخ عن المجتمع والعزلة والانعزال عن التلائم والاختفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء، بل وأيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة"²⁷ وهذا يتحول خليل الى شخص عبثي، ففقدانه الأهمية بنفسه، جعله لا يرى لشيء أهمية مثل موت ابنة خالته أنيسة في تفجيرات باريس. فهذا التصدع في التماهي أنتج في ذاتيته غيابا تاما للقيم الانسانية وعكس هشاشة هويته الضائعة، باعتبار القيم والمبادئ نواة للهوية، التي تؤسس شخصية الفرد أو الجماعة. لم يعد المسجد ملاذه الآمن دل أنه فقد روابطه الجسدية به، فمند تفجيرات باريس لم يستأنف صلاته وهو ما يدل على فقدانه الرابطة الروحية أيضا، مما يوقعه في حبال العودة الى حياته الماضية أي اللقاء بالأخر والعودة للتعيش معه، وامكانية ترميم جسر التواصل الانساني به، جاء في الرواية: "في اقل من أسبوع واحد اسلم الأثاث للكفار، والغريب في الأمر أنني ركبت خزانة في منزل زبون تفوح منه رائحة الخمر ولم أرفض اكراميته رغم أنها بخسة أوقف مرتين لدى مروري أمام حاجز، وقد طلب عناصر الشرطة أوراقي قبل أن يعيدوها لي من دون أي مشكلة"²⁸ لقد استطاعت الذات أن تواجه الآخر بنسج خيوط علاقة ودية معه غير أن هذه الخيوط سرعان ما تتبدى وتتلأشى لتصبح وهما بمجرد ظهور الأمير الياس أمام خليل فينفصل عن فضائه الواقعي ويسقط مجددا في عالم الأوهام يقول: "من قال أنني أستطيع العيش من دون اخواني؟ ترهات. حاولت اقناع ذاتي أن حياتي من دونهم ممكنة لكن بمجرد أن عاود الياس الظهور حتي عادت الأمور الى مجراها الطبيعي ما عدت خطاما تأثما بل وجدت سبيلي من جديد"²⁹ يغلب الاغتراب والنفور على الانتماء والتفاعل والرغبة في انتشار كينونته من فضاء الآخر، فالذات أضحت غريبة عن روحها، تتهاوى بين هوية وطنية أو اسلامية، وهو ما يمثل التجاذب الوجداني للشخصية المنقسمة بين

الفشل في تحقيق الانتماء وهوية معتمدة تكون مصدرا للعنف، انه العالم المتصدع التي تنتهي اليه الأنا ويدان به المجتمع في نظر ياسمينة خضرا. هذا اللقاء بدد هواجسه وخلصه من رواسب شكوكه فأعاد بذلك مركزيته ضمن الجماعة، لتنتقل الذات في مشروع الدفاع عن هويتها مجددا، يقودها فشلها في العملية لأولى لتجنيدها لعملية انتحارية ثانية تكون في بلادها الأصل المغرب، لم يعد الفضاء يوازي بين صراعه الداخلي وواقعه، بل تتحكم فيه عوامل خارجية أقوى منه ما "يفضي بالضرورة الى نوع آخر من الاغتراب يتمثل بالخضوع، سواء لفرد أو قائد أو دولة مما يترتب عليه فقدان الانسان السيطرة على الأمور التي تخصه وتتعلق بحريته ومصيره"³⁰ وبالتالي تنكبد الذات الاحساس بالنقص والرغبة في الكمال الذي لا يتحقق.

تصيبه صدمة جراء موت توأمه زهرة في انفجار اراهابي بقطار بروكسل، ما جعله يكشف زيف هويته، فزهرة الخيط الوحيد الذي يربطه بالحياة، وهي تمثل جزء منه فقداها هو فقد لكيانه بالكامل. يمضي الى المغرب انتقاما لنفسه ولأخته من هذا المكان الراسخ في الذاكرة الذي يحكي عن طفولة خليل رفقة شقيقته، والذي يجسد بساطة الحياة، يقف وجها لوجه مع تساؤلاته، يستشعر غربته، تقوده حالته النفسية الى الانكفاء على الذات، أضحت ذاته معطوبة، تعاني انفصالا تاما عن عالمه وغيابا كليا للوعي فهو "غير واعي بما يدور حوله، تنفصل خبراته عن مشاعره، وتنفصل مشاعره عن خبراته"³¹ تتأزم شخصية خليل بين الاحساس بالذنب والعجز عن تغير واقعه أصبح يتوهم الخلاص ولا خلاص له، مما جعله غير منسجم مع مصيره "ينفصل جزء من الذات انفصالا تفكيكيا من الجزء الآخر بشكل ينتهي الى تناثر الشخصية وتباعد مكوناتها و أجزاءها"³² يستسلم لانفعاله ليعاقب ذاته وهو ما صورته نهاية الرواية، واحباطه للعملية الارهابية الثانية.

5. رؤية الآخر:

يضعنا ياسمينة خضرا أمام مواقف شخصياته في حالة استنكار لشخصية الانتحاري، ودفاع خليل عن مشروعه الهوي، محكوم بمعتقداته ومسلماته، وهي رؤية الذات لذاتها في اطار رؤية الآخر لها، انطلاقا من تحديد هذا الآخر الذي يشكل "الكائن

المختلف عن الذات، وهو مفهوم نسبي ومتحرك لا يتحدد الا بالقياس الى نقطة مركزية هي الذات ³³ بمعنى الآخر بالنسبة لخليل هو المختلف عنه والذي تحكمه مرجعيات خاصة به تناقض توجهه، فمن خلال الحوار المتنوع الذي يكشف عن وجهات النظر المختلفة ويكسر رتابة الصمت، نرصد رؤية الصديق، والأخت، ووالدة الانتحاري ورفقاء العي...ومنه يتشكل الحكم الموحد بينهم والتي يحملها هذا الآخر داخله تجاه الانتحاريين تأثرا بنتائج الفعل الشنيع الذي خلف ضحايا أبرياء، ومن ابرزها موقف ادانة ادريس من قبل المقربين له، فور اعلان صورته في شاشة التلفاز، ليخيم الذهول على وجوههم والصدمة من السلوك الهمجي. جاء في الرواية "أنا لا أصدق. أضاف جيروم الذي بدا مضطربا لطالما كان ادريس شابا طيبا، لم يكن يوحى بأنه يخطط لأعمال وحشية، أنا حقا مذهول، كنت أحبه" ³⁴ تغيرت صورة ادريس في نظرهم. وجرى من انسانيته، فلم يعد ذلك الشاب الطيب بل تحول الى وحش، صنف انتحاره بالعمل الهمجي، حفلت الرواية بنفس الرؤية السلبية، لم يتقبل خليل _ الصديق المقرب لإدريس _ هذه النظرة، رافضا ادانة صديقه بالمجرم بل نصبه ونفسه أوصياء على الدين، وظل مدافعا عن قيمه التي تمثل ثقافتهم الذاتية "عاد بوفاء بكوب ماء شربته دفعة واحدة، ومشاعر الغضب تتأجج في داخلي، كانت تصريحات فريد تغيطني وكنت أقاوم في صميم ذاتي كي لا أنفض عليه وأمسك بخناق" ³⁵ تتقاسم الذوات المختلفة اذا فضاء الهجنة وهو فضاء متمركز مثقل بالعنصرية، ومشتت للهويات. حتمت عليهم أن يعيشوا ظروف اجتماعية مدفوعة الى الرضوخ أو التمرد وهو صراع غير متكافئ مما خلق آراء مختلفة بين معارض للأصولية وراغب في مكافحتها وأنهم سبب الأزمة والفتن الحاصلة بين البلجيكيين الأصليين والبلجيكيين المزيفين، فكل الشخصيات اتخذت موقفا واحدا، لا بد أن يعامل هؤلاء بحزم ولا بد من تخليص بلجيكا من شرورهم عن طريق طردهم، فالمهاجر الارهابي يهدد الهدوء الغربي، ويخل بنظامه "أنا أؤيد تكويم هؤلاء المعتوهين في مقصورة الشحن على متن طائرة ورميم في ديارهم" ³⁶ تتنوع ذهنيات كل طرف غير أنها تنقل لنا تصورات الأنا للآخر في عالم المهاجرين واحتكاكهم بالمجتمع البلجيكي، تفتح على فئة تركز على أخطاء المهاجر دون النظر الى حالهم وبين قاطنهم الأكثر تصالحا مع الأجنبي جاء رد خليل: "ما تشهده بلاد المسلمين شر لا بد منه لا يمكن أن يستقيم العالم قبل تخليصه

من الراضخين للهزيمة³⁷ لم يحاول اقناع الآخر بل اكتفى بتقديم نقد بما يحدث في بلاد المسلمين واعتبره نتاج ايديولوجي تمارسه الأنظمة الغربية، وهو بذلك ينضوي تحت راية المدافع للأمة. يتوهم الخلاص لها فيلجأ الى استخدام نفس الأسلوب المتمثل في أعمال العنف والارهاب لتحسين هويته وحماية ثقافته الاسلامية.

6. خاتمة:

تركز رواية "خليل" لياسمينه خضرا على محنة المهاجر دفعا به الى البحث عن الذات، وهو مجال متصل بالهوية، يمثل فيها البطل صراعه بين هويتين يشوبها القلق والحذر من ضياع انتماءه، ومنه خلصنا الى مجموعة من النتائج يمكن تحديدها كما يلي:

_ الهوية ليست كيانا يعطى بل هي مشروع ينمو ويتغير، وتعاني الهوية أزمات وجودية وفق اختلال وعدم انسجام داخل أبنيتها الداخلية والخارجية.

_ تحاول الذات التملص من نطاق أوهام هويتها الضيقة الى نطاق أوهام هوية فعالة تجابه بها القهر الاجتماعي والنظرة الدونية، طمعا في اعادة خلق انتماء جديد.

_ اغتراب الذات في فضاء هجين أدى الى تداعبها نفسيا وانكسار قيمتها الذاتية.

_ تتشكل الرؤية بين القبول والرفض لفئة المهاجر، وأزماته في مجابهة الواقع المرير وتأثيرها في علاقته بالآخرين.

7. الهوامش:

¹ عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص 51.

² المرجع نفسه، ص 85.

³ علي حرب، حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2004، ص 23.

⁴ بيتر كونسن، البحث عن الهوية، الهوية وتشتتها في حياة ايريك ايركسون وأعمال، ترسامر جميل رضوان، دار الكتاب الدامي، كولهامر، ص 391.

⁵ دايروش شايفان، هوية ياربوعين وجهها، تر: حيدر نجف، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، بغداد، 2016، ص 97.

⁶ ياسمينه خضرا، خليل، تر: ديمة علي فقيه، دار نوفل دمغة الناشر هاشيت أنطوان، لبنان 2020، ص 25.

- ⁷ الرواية، ص19.
- ⁸ ايناس طه، الذات والآخر في الرواية الإفريقية، المجلس الأعلى للثقافة، ص86.
- ⁹ هارليس وهوليون، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 2010، ص105.
- ¹⁰ الرواية، ص79.
- ¹¹ أمارتيا صون، الهوية والعنف، تر سحر توفيق، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، يناير 1978، ص31.
- ¹² الرواية، ص108.
- ¹³ محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العربية والإسلام...والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص140.
- ¹⁴ محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف: في المرأة، الكتابة والهامش، افريقيا الشرق، الدار البيضاء 1988، ص314.
- ¹⁵ لهوة الوليد، خطاب الأنساق الثقافية، في رواية قواعد العشق الأربعون للاليف شافاق، دار الايام للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2019، ص170.
- ¹⁶ الرواية، ص80.
- ¹⁷ عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بيروت، مارس 2013، ص155.
- ¹⁸ محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف: في المرأة، الكتابة والهامش، المرجع السابق، ص167.
- ¹⁹ الرواية، ص79.
- ²⁰ محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف، في المرأة، الكتابة والهامش، المرجع السابق، ص21.
- ²¹ الرواية، ص34.
- ²² عبد الله إبراهيم، السرد والاعتراف، والهوية، دار الفارس للنشر، ط1، الأردن، 2011، ص149.
- ²³ محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف، في المرأة، الكتابة والهامش، المرجع السابق، ص23.
- ²⁴ حسن حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012، ص57.
- ²⁵ الرواية، ص91.
- ²⁶ الرواية، ص108.
- ²⁷ عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2003، ص21.
- ²⁸ الرواية، ص109.
- ²⁹ الرواية، ص131.
- ³⁰ صلاح الدين أحمد الجماعي، الاغتراب النفسي الاجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، دار زهران، ط1، عمان، 2009، ص60.

³¹ المرجع نفسه، ص58.

³² المرجع نفسه، ص49.

³³ نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1

البحرين، 2004، ص 20.

³⁴ الرواية، ص68.

³⁵ الرواية، ص68.

³⁶ الرواية، ص84.

³⁷ الرواية، ص85.